مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٥/٨/١٢

مدرسة السادات السياسية

من حـركة التصـــحيح الى ثـورة التصـــحيح

بـــات

واضحا ، منذ مايو ١٩٧٥ ، ان « المدرسة الساداتية » قد انتهت الى توصيف محدد لهويتها وموقعهـا التاريخي والسـياسي والاجتماعي ، من خريطة الواقع المصرى المعاصر . وتوصلت الى بلورة « اجاباتها المنهجية » على مجموعة الاسـئلة التى راحت تتصاعد فى وجهها — منـذ مايو ١٩٧١ — من مصادر اجتماعية وفكرية ، متعددة ومتباينة . وخاصة عن علاقاتها بثورة يوليو ١٩٥٢ ، وموقفها من جمـال عبد الناصر ومن الناصرية

لماذا تلتقط « مايو ١٩٧٥ » بالذات ، تاريخا مميزا للمدرسة الساداتية، وكاشفا عن ملامحها وابعادها الرئيسية ؟

فى هذا التاريخ وبالتحديد فى الاول من مايو ١٩٧٥ ، أعلن الرئيس السادات ــ لاول مرة ــ أن ما قام به من اجراءات ضمنية ، « تحت راية حماية الديمقراطية وثورة يوليو وسمعة جمال عبد الناصر »، عندما عرف باسم « **مراكز القوى** » فى الخامس عشر من مايو ١٩٧١ ، لم يكن مجرد « **حركة تصحيحية** » تمس اتجاهات ومواقع متفرقة من مسار ثورة يوليو . وانما كان « **ثورة تصحيح وانقاذ وتجديد لثورة يوليو** » .

كيف ؟

تجيب المدرسة ، ان ثورة التصحيح صارت ــ وماتزال ــ فى خطين متلازمين، يكمل احدهما الاخر .

☐ **الاول** : رد ثورة يوليو ، من جديد الى اصولها التى تضبطها المبادىء الستة الاساسية التى انفجرت من أجلها وتحت اعلانها ، فى عام ١٩٥٢ .

☐ **الثانى** : تجديد الثورة ، بحيث تتكيف مع المتغيرات المحلية والعربية والدولية . وخاصة بعد غياب عبدالناصر، واندلاع حرب اكتوبر العسكرية والبترولية باثارها الايجابية ، وثبلم « الوفاق الدولى » اطارا للعلاقات الدولية بديلا عن « الحرب الباردة » .

تتحدد المبادىء الستة للثورة فى :

① القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين .
② القضاء على الاقطاع .
③ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
④ اقامة عدالة اجتماعية .
⑤ اقامة جيش وطنى قوى .
⑥ اقامة حياة ديمقراطية سليمة .

والالتزام بثورة يوليو — فى مفهوم المدرسة الساداتية — هو بالدقة الالتزام بهذه المبادىء الستة . وكل ما عدا ذلك عارض وقابل للتعديل والتغيير طبقـــا للظروف . وبالتالى فان كل ما جرى فى المجتمع المصرى من صياغات واجراءات — منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٧١ — لايعدو ان يكون « تجارب واجتهادات » ، من أجل وضع هذه المبادىء الستة موضع التطبيق العملى ، « تحتمل الصواب والخطأ » . ذلك أن التجارب والاجتهادات — بطبيعتها — غير نهائية وغير جامدة. وانما هى مطالبة — دوما — بالتجدد مع الاستمرار . والاستمرار — وفقا لتعبير السادات فى حديثه الى مجلة « التايم » الأمريكية فى ١٩ مارس ١٩٧٤ — « يقوم على نقطتين رئيسيتين :

☐ **أولا** : أن ما كان قائما لدينا هو تجربة. والتجربة لها ايجابيات وسلبيات. وما أفعله الآن هو تصحيح السلبيات .

☐ **ثانيا** : أنه يجب أن تكون لنا رؤية جديدة . لان كل شىء من حولنا فى العالم، من علاقات وموازين واستراتيجيات ، يتغير من ساعة الى أخرى . ومن ثم فيجب أن تكون هناك نظرة جديدة . ونحن نحاول أن نكيف أنفسنا لهذه النظرة الجديدة » .

واللافت للانتباه ، فى هذا الصدد ، أن الرئيس السادات ظل متحفظا على مبادرة بعض الاقلام الصحفية والسياسية، الى اضفاء اصطلاح « الثورة » على ما حدث فى مايو ١٩٧١ . وذلك على مدى المسافة الزمنية التى امتدت من مايو ١٩٧١ الى مايو ١٩٧٥ . **لماذا ؟**

تجيب المدرسة ، بأن السادات ظل يعتبر « مايو ١٩٧١ » مجرد « وعد بثورة جديدة » . وكان لابد من « حد أدنى من الزمن » يتم خلاله ، ترجمة هذا الوعد الى « مجموعة من الافعال والاجراءات

الواقعية التى تغير جذريا من نظام ٦٧ [الهزيمة] ــ ١٩٧١ [مراكز القوى] ، الى نظام جديد فى نوعيته السياسية والاجتماعية . وذلك قبل ان يقرر ان « الوعد » قد انجز . وان « ثورة التصحيح » قد تحققت بالفعل

● ● ●

فى مايو ١٩٧٥،كان الرئيس السادات قد تم بجولته العربيةقبل لقائه الاستراتيجى بالرئيس الامريكى « فورد » بسالزبورج يونيو ١٩٧٥ ، الذى اعقبه فتح قناة السويس للملاحة الدولية بعد ثمانى سنوات من الاغلاق وكان قد حدث تعديل اساسى فى مؤسسات الدولة باسقاط ما بقى فيها من شخصياتتقليدية تنتمىلمجلس ثورة يوليو القديم،وتطعيمها بقيادات عسكرية تنتمى لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، الى غير ذلكمن الخطوات التى سنشير اليها فيما بعد .

من هنا ، احدث التراكم « الكمى » لمجموعة من الافعال والاجراءات ، تغييرات «نوعية» فى القاعدة الاجتماعية السياسية للنظام . وسلحته بقدرات مادية ومفاتيح فكرية جديدة . وتم بذلك ــ فى تقدير المدرسة الساداتية ــ بناء « الهيكل العام المصحح » ، تكان عليها ــ بالتالى ــ ان تجاهر « بثورتهـا التصحيحية » .

وتجمل «مدرسة السادات السياسية» افعال واجراءات « ثورة التصحيح » فى النقاط السبع عشرة التالية :

- اصدار الدستور الدائم .
- تنظيم الصحافة على أساس اعتبارها سلطة رابعة من سلطات النظام السياسى . وذلك من خلال تكوين «مجلس اعلى للصحافة » يرأسه الامين الاول للاتحاد الاشتراكى ، يحكمه ميثاق شرف ، ويتمتع بحرية ذاتية فى حدود القانون .

● اعادة القضاة المفصولين عام ١٩٦٩ ، لاسباب سياسية . الى مراكزهم فى السلطة القضائية .

● اعادة بناء **الاتحاد الاشتراكى** « كتنظيم سياسى وحيد معبر عن تحالف قوى الشعب العاملة » . وذلك على أساس « ورقة التطوير » التى طرحها الرئيس السادات للنقاش العام فى التاسع من اغسطس ١٩٧٤ ، وتبنت العضوية الاختيارية والعضوية الجماعية للنقابات والاتحادات ، وحق تكوين منابر داخلية.

● انهاء مهمة **الخبراء العسكريين** السوفيت فى مصر . الذين توافدوا الى مصر منذ عام ١٩٦٨ — بناء على طلب الرئيس جمال عبد الناصر — للمساعدة فى بناء القوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ .

● الغاء وتصفية آثار جميع **الاجراءات الاستثنائية** التى اتخذتها الثورة على مدى الثمانى عشرة سنة السابقة على تولى السادات لمسئولية رئاسة الجمهورية . وخاصة فيما يتعلق بالحراسات ومصادرة الاموال والممتلكات وأحكام السجن والاعتقال . وفتح الابواب أمام جميع المصريين المغتربين ، منذ الخمسينيات والستينيات، للعودة الامنة دون استثناء.

● اطلاق شعارات « **دولة العلم والايمان** » ، « **والدولة المصرية ذات المجتمع المفتوح** » ، « **ودولة المؤسسات وسيادة القانون** » ، عنوانا لنظام ثورة التصحيح .

● شن حرب **أكتوبر** ١٩٧٣ ضد الاحتلال الاسرائيلى : **عسكريا** بالاتفاق مع سوريا . **وبتروليا** ، بالاتفاق مع السعودية والكويت وامارات الخليج .

● فتح **قناة السويس** للملاحة الدولية واعادة تعمير منطقة القناة وعودة المهجرين [٧٠٠ الف نسمة] الى المدن الثلاث: بورسعيد والاسماعيلية والسويس.

● تقرير سياسة «الانفتاح الاقتصادى» على العالم دون تفريق بين النظم الاشتراكية والنظم الراسمالية . وذلك بما يؤمن المجالات لاستثمارات رؤوس الاموال العربية والاجنبية على كل من المستوى الخاص والعام . واقامة مدن ومناطق حرة . وذلك وفقا لقوانين اجازها مجلس الشعب .

● تنشيط القطاع الخاص ودعمه . مع تحرير القطاع العام من « القيود البيروقراطية والمؤسسات الخاسرة » وتمويله من طريق طرح بعض اسهمه للبيع للعاملين والمواطنين فى حدود عشرة آلاف جنيه للشخص الواحد . واذكاء المنافسة الاقتصادية — على قدم المساواة ودون تحيز — بين القطاع العام والقطاع الخاص .

● تنويع مصادر التسليح العسكرى . وذلك بعدم الاقتصار على مصدر واحد [الاتحاد السوفيتى] والبحث عن مصادر غربية أخرى . والبدء فى بناء صناعة عسكرية عربية مشتركة مع السعودية وامارات الخليج .

● طرح « ورقة اكتوبر » التى ترسم تصور « ثورة التصحيح » لخريطة الحركة المصرية ، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، حتى نهاية القرن العشرين ، على الاستفتاء الشعبى فى مايو ١٩٧٤ ، وحصولها على موافقة ٩٨,٩٥٪ من اصوات الناخبين .

● تصفية ما تكشف عنه فى تقدير المدرسة — من مراكز قوى جديدة ، بعد التصفية الاولى فى مايو ١٩٧١ ، واشراك قيادات حرب اكتوبر وحركة التصحيح فى السلطة [انتقال الفريق حسنى مبارك من قيادة القوات الجوية الى منصب نائب الرئيس . وانتقال السيد ممدوح سالم ، الذى لعب دورا أساسيا فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، من وزارة الداخلية الى رئاسة مجلس الوزراء] .

● **امتداد سياسة الوفاق العربي الاسلامي** ، في علاقات مصر العربية والاسلامية . وذلك دون ما انحياز ، أو انخراط في محاور سياسية او عقائدية.

● السير على سياسة التوازن في العلاقات الدولية . وخاصة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، دون ما تمييز أو تفريق .

● العودة الى **المبادىء الستة الاولى** لثورة يوليو ، باعتبارها المقاييس الوحيدة للالتزام . وذلك دون ما تقيد بالقوالب ، أو جمود في الصياغات ، التي فرضتها الظروف والصراعات السابقة خلال مسار الثورة . والتكيف مع المتغيرات المحلية والعربية والدولية ، المستمرة ، في عصر الوفاق العالمي وفقا لمفاهيم المدرسة وتحليلاتها عن هذه المتغيرات .

من استقراء حركة الاحداث خلال الفترة الممتدة من سبتمبر ١٩٧٠ [وفاة عبدالناصر] الى يوليو ١٩٧٥ [العيد الثالث والعشرون لثورة يوليو] يبدو جليا ان انتقال مدرسة السادات السياسية من «حركة التصحيح» ـ بالافعال والاجراءات السبعة عشر ـ الى « ثورة التصحيح »، قد تم من خلال اربع قفزات مرحلية :

● **القفزة الاولى ، من وفاة عبدالناصر في سبتمبر ١٩٧٠ الى التصفية الاولى « لمراكز القوى » في ١٥ مايو ١٩٧١ . وفيها استمرت الثورة ـ في مفهوم المدرسة الساداتية ـ ثورة يوليو . وكان الاسلوب الاساسي للعمل هو اسلوب المناصرة التقليدي .**

في خطابه أمام الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي في العاشر من مايو ١٩٧١ [قبل خمسة أيام من ضرب مراكز القوى] قال السادات : « ليكن رائدنا دائما اننا عائلة واحدة .. عائلة ثورة يوليو وجمال عبد الناصر .. وان افراد العائلة يمكن أن يختلفوا وأن يتناقشوا . ولكن تحت مظلة العائلة ، وليس تحت مظلة الصراع.

لان الهدف يجب أن يكون مصلحة مجموع العائلة . وان الشعب اذا كان قد شرفنى بأن اكون تعبيرا لهذه العائلة فلن اسمح بهذا الصراع . ولكن ذلك سيكون فى حدود سيادة القانون . » .

● **القفزة الثانية ، تتخطى المسافة الزمنية الممتدة من مايو ١٩٧١ [تصفية مراكز القوى الاولى] الى أكتوبر ١٩٧٣ [الحرب الرابعة مع اسرائيل] . وفيها ظلت الثورة — فى مفهوم المدرسة الساداتية — ثورة يوليو . وكان الاسلوب الاساسى للعمل هو الناصرية ، ولكن مع بعض التعديلات التى اخذت حركة التصحيح تجريها .**

وفى حديثه أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٧١ ، قال السادات : « انا باواجه وباقول اخطائنا بصراحة .وانا كمتجزء من هذا التنظيم ورئيس لجنة فى اللجنة المركزية . انا كمت ، وزى ما قلت لكم، كل قرار صدر منذ ١٩٥٢ الى اليوم أنا مسئول عنه . مش بعد عبد الناصر ما يموت ، أعمل بطل واقول لا أنا مكنتش مسئول .. انا مسئول وشريكه الى أن مات ومسئول الى اليوم .. ماذا نعمل فى هذه التجربة ! لازم نتعلم أن الاتحاد الاشتراكى يخدم ولا يحكم .. يخدم ولا يحكم .. علشان لا نقع فى نفس ما وقع فيه التنظيم اللى فات .. » .

● **القفزة الثالثة ، تطوى المرحلة من اكتوبر ١٩٧٣ [الحرب الرابعة مع اسرائيل] حتى مايو ١٩٧٥ [الجمهورية التصحيح] . خلال هذه القفزة ، بقيت الثورة — فى مفهوم المدرسة الساداتية — هى ثورة يوليو . بيد انه ظهر تمايز واضح بين منهاج العمل الناصرى وبين منهاج العمل الساداتى .. وذلك بصدد تكامل « الهيكل العام لثورة التصحيح » .**

وفى حديث آخر الى صحيفة « البيرق »

اللبنانية فى العاشر من يناير ١٩٧٥ ، قال ، « انا عايز أقول هناك مبادىء ٢٣ يوليو ، ليس هناك ناصرية . الا أن بعضهم يريد تسميتها كذلك . فما دامت الثورة قائمة وما دمنا متمسكين بمواثيق هذه الثورة ، فليسمها أى انسان مايشاء .. ثورة ناصرية .. أو ما يريدون . لكنى ارفض تسمية الساداتية ، لاننى لم أضف شيئا فى هذا الشأن ، ولكنى استمريت انفذ مبادىء هذه الثورة » .

● **القفزة الرابعة ، هى المرحلة الآتية التى انطلقت منذ مايو ١٩٧٥ . وفيها تظل الثورة أيضا — فى مفهوم المدرسة الساداتية — هى ثورة يوليو . ولكن هذا النبع الواحد كما أفرز فى ظرف الخمسينيات والستينيات ، مدرستناصرية .. فقد أفرز فى ظروف السبعينات ، مدرسة ساداتية** . وبحكم النبع الواحد للمدرستين هناك — من ناحية — **جوانب اتفاق** فيما بينهما ، مثل الاعتماد على تحالف قوى الشعب العاملة ، كصياغة للعمل والنظام السياسيين . غير انهما — من ناحية اخرى — بحكم تباين الظروف وبروز قوى اجتماعية جديدة أو كامنة ، ولكنها لم تكن مرئية أو فاعلة من قبل .. **تختلفان فى المنهج والاسلوب وبعض التوجيهات** . وتقدم المدرسة امثلة عديدة على ذلك ، فى اطار العلاقات بين القطاع العام والقطاع الخاص ، وفى الموقف من الاجراءات الاستثنائية ، وفى العلاقات مع كل من الاتحاد السوفيتى وامريكا ، أو داخل الوطن العربى .

وفى بيانه الى الشعب فى الخامس عشر من مايو ١٩٧٥ قال السادات : « لقد كان من أسباب الخطأ والخلط ، أن هناك من تصوروا أن التجربة الثورية لشعبنا تتوقف عند لحظة معينة من الزمان . ونسوا أن الثورة الحقيقية ليست الجمود ، وانما الثورية الحقيقية حوار مع الظروف المتغيرة واستجابة

للتحديات الطارئة . والا نهو القعود بدلا من الحركة . وهو التراجع بدلا من التقدم .. لقد كانت هذه الاعتبارات والضرورات ومنطلقاتنا الاساسية هي التي أملت علينا مجموعة من الضمانات الجديدة

اولها : مرونة في السياسة الدولية تدعونا من موقف الاستقلال واللا انحياز الى التعاون الحر الايجابي والخلاق مع كل الاطراف الدولية بلا عقد أو رواسب من الماضي ، لان الظروف تغيرت ، فانتقلت من عصر الحرب الباردة الى عصر الوفاق الدولي .

ثانيها : أسلوب مختلف في العمل العربي ، يجمع بالاختيار والرضا كل القوى العربية وبغير استثناء أو تمييز . ذلك لصالح التقدم العربي الشامل ولصالح الامن العربي الذي لا يتجزأ .

ثالثها ، منطق جديد في رسم وتوجيه سياسة التنمية ، ينفتح على الكل يحصل على الخبرة والتكنولوجيا من حيث يستطيع الحصول عليها ، وينفتح على العالم العربي بوجه خاص لانه أصبح أكبر مصدر واكبر مورد للاموال اللائمة للاستثمار بل وللدفاع أيضا . » .

● ● ●

الى اين تؤدي القفزة الرابعة للمدرسة الساداتية ، بعد أن انتقلت من « حركة التصحيح » الى « ثورة التصحيح » .. هذه هي قضية الجميع .. جميع الـ « مع » وجميع الـ « ضد » ، على السواء . □